

خصائص العشر الأواخر من الشهر المبارك

تأمل أيها المسلم في ساعتك، وانظر إلى عقرب الساعة وهو يسأل التواني أكلاً، لا يتوقف ولا يتنهي، بل لا يزال يجري ويلتهم الساعات والتواني، بسوء كنت قائماً أو نائماً، عاملاً أو عاطلاً، وتذكر أن كل لحظة تضيي، وثانية تنقضي فإنما هي جزء من عمرك، وأنها مرصودة في سجلك ودفترك، ومكتوب في صحيفة حسناتك أو سيئاتك، فاتق الله في نفسك، واحرص على شغل أوقاتك فيما يقربك إلى ربك، ويكون سبباً لسعادتك وحسن عاقبتك، في دينك وأخرتك.

وإذا كان قد ذهب من هذا الشهر أكثره، فقد بقي فيه أجله وأخيره، لقد بقي فيه العشر الأواخر التي هي زبدته وثمرته، وموضع الذؤابة منه.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعظم هذه العشر، ويجتهد فيها اجتهاداً حتى لا يكاد يقدر عليه، يفعل ذلك - صلى الله عليه وسلم - وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما أحرانا نحن المذنبين المفرطين أن نتقدي به - صلى الله عليه وسلم - فنعرف لهذه الأيام فضلها، ونجتهد فيها، لعل الله أن يدرنا برحمته، ويسعنا بنفحة من نفاحته، تكون سبباً لسعادتنا في عاجل أمرنا وأجله.

وروى الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجتهد في العشر الأواخر، ما لا يجتهد في غيره».

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطط للعشر والعشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شمّر وشدّ المؤثر».

فقد دلت هذه الأحاديث على فضيلة العشر الأواخر من رمضان، وشدة حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على اغتنامها والاجتهاد فيها بأنواع القربات والطاعات، فينبغي لك أيها المسلم أن تفرغ نفسك في هذه الأيام، وتخفف من الاشتغال بالدينا، وتجتهد فيها بأنواع العبادة من صلاة وقراءة، وذكر وصلاة، وصله للرحم وإحسان إلى الناس، فإنها - وإنها - أيام معدودة، ما أسرع أن تنقضي، وتطوى صحائفها، ويختم على عملك فيها، وأنت - والله - لا تدري هل تدرك هذه العشر مرة أخرى، أم يحول بينك وبينها الموت، بل لا تدري هل تكمل هذه العشر، وتوفق لإتمام هذا الشهر، فإله الله بالاجتهاد فيها والحرص على اغتنام أيامها ولياليها، وينبغي لك أيها المسلم أن تحرص على إيقاظ أمك، وحثهم على اغتنام هذه الليالي المباركة، ومشاركة المسلمين في تعظيمها والاجتهاد فيها بأنواع الطاعة والعبادة.

ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة فقد كان إذا دخل العشر شدّ مئزره، وأحيا ليله وأيقظ أهله، وإيقاظه لأهله ليس خاصاً في هذه العشر، بل كان يوقظهم في سائر السنة، ولكن إيقاظهم لهم في هذه العشر كان أكثر وأكد. قال سفيان الثوري: أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتجهد بالليل، ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك.

وإن لمن الحرمان العظيم، والخسارة الفادحة، أن نجد كثيراً من المسلمين، تمر بهم هذه الليالي المباركة، وهم عنها في غفلة معرضون، فيمضون هذه الأوقات الثمينة فيما لا ينفعهم، فيسهرون الليل كله أو معظمه في لهو ولعب، وفيما لا فائدة فيه، أو فيه فائدة محدودة يمكن تحصيلها في وقت آخر، ليست له هذه الفضيلة والمزية.

وتجد بعضهم إذا جاء وقت القيام، انطرح على فراشه، وغط في نوم عميق، وفوت على نفسه خيراً كثيراً، لعله لا يدركه في عام آخر.

ومن خصائص هذه العشر: ما ذكرته عائشة من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يحيي ليله، ويشدّ مئزره، أي يعتزل



نساءه ليتفرغ للصلاة والعبادة. وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحيي هذه العشر اغتناماً لفضلها وطلباً لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما أعلم - صلى الله عليه وسلم - قام ليلة حتى الصباح ولا تتأقي بين هذين الحديثين، لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالصلاة والقراءة والذكر والسجود ونحو ذلك من أنواع العبادة، والذي ففته، هو إحياء الليل بالقيام فقط.

ومن خصائص هذه العشر أن فيها ليلة القدر، التي قال الله عنها: «ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر». وقال فيها: «إنها أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم» أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الكاتبين كل ما هو كائن في تلك السنة من الأرزاق والأجال والخير والنشر، وغير ذلك من أوامر الله المحكمة العادلة. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «وفي ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يُحرم خيرها إلا محروم»، حديث صحيح رواه النسائي وابن ماجه.

قال الإمام النحعي: «العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها». وقد حسب بعض العلماء «ألف شهر» فوجدوها ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر، فمن وفق لقيام هذه الليلة وأحياها بأنواع العبادة، فكانه يظل يفعل ذلك أكثر من ثمانين سنة، فيأله من عطاء جزيل، وأجر وافر جليل، من حرمه فقد حرم الخير كله. وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وهذه الليلة في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» متفق عليه.

وهي في الأوتار منها أخرى وأرجى، وفي الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: التمسوها في العشر الأواخر في الوتر» أي في ليلة إحدى وعشرين،

وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين. وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تثبت في ليلة واحدة، بل تنتقل في هذه الليالي، فتكون مرة في ليلة سبع وعشرين ومرة في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو تسع وعشرين.

وقد ألقى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم، ليجتهدوا في جميع ليالي العشر، وتكثر أعمالهم الصالحة فتزداد حسناتهم، وترتفع عند الله درجاتهم «ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون»، وأخفاها سبحانه حتى يتبين الجاد في طلب الخير الحريص على إدراك هذا الفضل، من الكسلان المتهاون، فإن من حرص على شيء جد في طلبه، وسهل عليه التعب في سبيل بلوغه والظفر به، فأرأوا الله من أنفسكم خيراً واجتهدوا في هذه الليالي المباركات، وتعرضوا فيها للرحمات والتفحات، فإن الحروم من حرم خير رمضان، وإن الشقي من فاتته فيه المغفرة والرضوان، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «رغم أنف من أدرك رمضان ثم خرج ولم يُغفر له»، رواه ابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي.

إن الجنة حُفت بالمكاره، وأنها غالبية نقيسة، لا تتثال بالنوم والكسل، والإخلاء إلى الأرض، واتباع هوى النفس. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «من خاف أدلج - يعني من أول الليل - ولا أدلج بلغ المنزل، إلا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة». وقد مثل النبي - صلى الله عليه وسلم - المسافر إلى الدار الآخرة - وكلنا كذلك - بمن يسافر إلى بلد آخر لقضاء حاجة أو تحقيق مصلحة، فإن كان جاداً في سفره، تاركاً للنوم والكسل، متحملاً لمشاق السفر، فإنه يصل إلى غايته، ويحمد عاقبة سفره وتعبه، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

وأما من كان نؤاماً كسلان متبعاً لأهواء النفس وشهواتها، فإنه تنقطع به السبل، ويفوته الركب، ويسقه الجادون المشمرون، والراحة لا تتثال بالراحة، ومعالي الأمور لا تتثال إلا على حيسر من التعب والمشقات «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لتلكم نفلحون» (آل عمران: 200). ومن خصائص هذه العشر

المباركة استحباب الاعتكاف فيها، والاعتكاف هو: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عز وجل - وهو من السنة الثابتة بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد»، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، واعتكف أنواجه وأصحابه معه وبعده.

وفي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً. والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس ليتفرغ لطاعة الله، ويجتهد في تحصيل الثواب والأجر وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والعبادة، ويتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدث قليلاً بحديث مباح مع أهله أو غيرهم. ويحرم على المعتكف الجماع ومقدماته لقوله تعالى: «...ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد...».

وأما خروجه من المسجد فهو على ثلاثة أقسام: 1 - الخروج لأمر لا بد منه طبعاً أو شرعاً لقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب والغسل من الجنابة، وكذا الأكل والشرب فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد، فإن أمكن فعله في المسجد فلا. مثل أن يكون في المسجد دورات مياه يمكن أن يقضي حاجته فيها، أو يكون له من ياتيه بالأكل والشرب، فلا يخرج حينئذ لعدم الحاجة إليه.

2 - الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه عبادة مريض، وشهود جنازة ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط ذلك في ابتداء اعتكافه مثل أن يكون عنده مريض يحب أن يعود أو يخشى من موته، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به.

3 - الخروج لأمر يتنافى الاعتكاف كالخروج للبيع والشراء ونحو ذلك، فلا يفعله لا بشرط ولا بغير شرط؛ لأنه يناقض الاعتكاف وينافي المقصود منه، فإن قُعل انقطع اعتكافه ولا حرج عليه.

وقفات رمضانية

أعمال العشر الأواخر

للعشر الأواخر من رمضان عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أهمية خاصة ولهم فيها هدي خاص، فقد كانوا أشد ما يكونون حرصاً فيها على الطاعة. والعبادة والقيام والذكر ولتتعرف في هذه الدقائق على أهم الأعمال التي كان يحرص عليها الأولون وينبغي علينا الاقتداء بهم في ذلك:

1 - فمن أهم هذه الأعمال: «إحياء الليل» فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد مئزره ومعنى إحياء الليل: أي استغفره بالسهير في الصلاة والذكر وغيرهما، وقد جاء عند النسائي عنها قالت: «لا أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة ولا قام ليلة حتى أصبح ولا صام شهراً كاملاً قط غير رمضان» فعلى هذا يكون إحياء الليل المقصود به أنه يقوم أغلب الليل، ويحتمل أنه كان يحيي الليل كله كما جاء في بعض طرق الحديث.

وقيام الليل في هذا الشهر الكريم وهذه الليالي الفاضلة لاشك أنه عمل عظيم جدير بالحرص والاعتناء حتى تتعرض لرحمات الله جل شأنه.

2 - ومن الأعمال الجليلة في هذه العشر: إيقاظ الرجل أهله للصلاة.

فقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام في هذه العشر أنه يوقظ أهله للصلاة كما في البخاري عن عائشة، وهذا حرص منه عليه الصلاة والسلام على أن يدرك أهله من فضائل ليالي هذا الشهر الكريم ولا يقتصر على العمل لنفسه ويترك أهله في نومهم، كما يفعل بعض الناس وهذا لاشك أنه خطأ وتقصير ظاهر.

3 - ومن الأعمال أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر شد المئزر كما في الصحيحين والمعنى أنه يعتزل النساء في هذه العشر ويشغل بالعبادة والطاعة وذلك لتصفو نفسه عن الأكدار والمشتهيات فتكون أقرب لسوء القلب إلى مارج القبول وأزكى للنفس لعناية الأجواء الملائكية وهذا ما ينبغي فعله للمسلم بلا ارتياب.

4 - ومما ينبغي الحرص الشديد عليه في هذه العشر: الاعتكاف في المساجد التي تصلي فيها فقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم للمسلم الاعتكاف في العشر الأواخر حتى توفاه الله كما في الصحيحين عن عائشة.

وأما كان يعتكف في هذه العشر التي تطلب فيها ليلة القدر قطعاً لأشغاله وتفرغاً ليلاليه وتخلياً لمناجاة ربه والذكر وعنايته، وهذا يجتهد حيصراً يتخلى فيه عن الناس فلا يخالطهم ولا يشغل بهم.

وقد روى البخاري أنه عليه الصلاة والسلام اعتكف في العام الذي قبض فيه عشرين يوماً.

قال الإمام الزهري رحمه الله عليه: «عبأ للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل».

ومن أسرار الاعتكاف صفاء القلب والروح إذ إن مدار الأعمال على القلب كما في الحديث (إلا وان في الجسد مضعة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب).

فلما كان الصيام وقاية للقلب من مغبة الصوارف الشهوانية من فضول الطعام والشراب والتكاح فكذلك الاعتكاف ينطوي على سر عظيم وهو حماية العبد من آثار فضول الصحبة وضول الكلام وفضول النوم وغير ذلك من الصوارف التي تفرق أو القلب وتفسد اجتماعه على طاعة الله.

ومما يجدر التنبه عليه هنا أن كثيراً من الناس يعتقد أنه لا يصح له الاعتكاف إلا إذا اعتكف كل أيام العشر ولياليها، وبعضهم يعتقد أنه لا بد من لزوم المسجد طيلة النهار والليل ولا ما يصح اعتكافه، وهذا ليس صواباً إذ إن الاعتكاف وإن كانت السنة فيه اعتكاف جميع العشر إلا أنه يصح اعتكاف بعض العشر سواء نهار أو ليلاً كما يصح أن يعتكف الإنسان جزءاً من الوقت ليلاً أو نهاراً إن كان هناك ما يقطع اعتكافه من المشاغل فإذا ما خرج لأمر مهم أو لوظيفة مثلا استأنف نية الاعتكاف عند عودته، لأن الاعتكاف في العشر مسنون أما إذا كان الاعتكاف واجباً كان نذر الاعتكاف مثلا فإنه يبطل بخروجه من المسجد لغير حاجة الإنسان من غائط وما كان في معناه كما هو مقرر في موضعه من كتب الفقه.

فلا تشتغل إلا بما يكسب العلاء ولا ترض للنفس النفسية بالردى وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه

ويسلم دين المرء عند التوحيد ويسلم من قال وقيل ومن أنى جلس ومن واش بغيبض وحسد وخير مقام قمت فيه وحلية

تصليتها ذكر الإله بمسجد ومن أهم الأعمال في هذا الشهر وفي العشر الأواخر منه على وجه الخصوص تلاوة القرآن الكريم بتدبر وخشوع، واعتبار معانيه وأمره ونهيهِ قال تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» فهذا شهر القرآن، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدارسه جبريل في كل يوم من أيام رمضان حتى يتم ما أنزل عليه من القرآن وفي السنة التي توفي فيها قرأ القرآن على جبريل مرتين.

وقد أُرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى فضل القرآن وتلاوته فقال «أقرأوا القرآن فإن لكم بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها ما أمني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»، رواه الترمذي وإسناده صحيح وأخير النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن يحتاج عن صاحبه يوم العرض الأكبر فقال «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تتحاجان عن صاحبيهما» رواه مسلم.

علامات محبة الله تعالى للعبد

تعلمنا منه العقيدة الصافية النقية فهو في العقيدة لا مثل له، فأصبحت لنا حساسية مرهقة من صحة الأقوال والأفعال ومطابقتها أو مخالفتها للشريعة. كنت أحمض دروسه منذ عام 1993 في مسجد الكلب وخطبة الجمعة في مسجد الهاجري وكنت دائماً أحافظ على أن أكون في الصف الأول بجواره مباشرة حتى إذا حضر أسلم عليه وأقبله هكذا أمرنا أن نفعلمنا إذا حين تجلس معه لا تحب أن تتركه وإذا تركته تحزن لفرأقه، أهتم شيخنا كثيراً بكتب ابن تيمية رحمه الله وأهتم بتدريسها لطلبة العلم ولم نعرف ابن تيمية إلا من خلاله وأحبهنا لحبه له، كنت دائماً أرى أن مكانه في الحرم المكي الشريف ولكن أراد الله عز وجل أن يكون مكانه في الكويت فيسبحان الله الحكيم في أفعاله فقد كانت الكويت حقاً في حاجة إلى علمه، فأنشأ جيلاً بل أجيالاً على العقيدة السليمة والتوحيد الحق فقد كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً، فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يبغض فلاناً، فأبغضوه فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض»، رواه مسلم.

شيخ خليل وعالم قدير من العلماء القليلين فهو من سلسلة الأئمة الأعلام لا نظير لهم أمثال ابن تيمية وابن باز وابن عثيمين رحمهم الله، ألا وهو الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق آل يوسف حفظه الله صاحب الخلق الرفيع والتواضع الجبم والحياء في التعامل مع الناس، نادراً ما يطلب شيئاً من أحد، داعياً إلى الخير وسابحاً له، ما دعوته مرة لزيارة مريض أو حضور جنازة إلا كان ملبياً.

فارساً حقاً في هذا المجال ولا ينازله أحد. وشيخنا ابتلاه الله عز وجل بالمرض (عافاه الله وشفاه) وإذا أحب الله عبداً ابتلاه وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء. وحين تزوره في المستشفى ترى نزول محبة الله له في الأرض من كثرة زائريه كأنه أمير من الأمراء وليس عالماً من العلماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) قال القرطبي رحمه الله قوله «إن الله يرفع بهذا الكتاب» يعني يشرف ويكرم في الدنيا والآخرة وذلك بسبب الاعتناء به، والعلم به والعمل بما فيه. فالعلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما.

«اللهم رب الناس أذهب الباس أشفه وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك لشفاء لا يقادر سقماً».